آفاق الحضارة الاسلامية، أكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية
السنة الرابعة عشرة، العدد الثانى، الخريف و الشتاء ١٤٣٣ هـ.ق، صص ٨٥-١٠٥

مصير الجبال من منظار قرآنى

علی سواری*

سیدمحمدرضا ابن‌الرسول**

الملخص

من المنظار القرآنى أنَّ الجبال الثوابت المنعوتة بالأوتاد والمثبتة لطبقات الكرة الأرضيّة ترجف وتتحرّك وتُدكُّ وتتلاشى فى أحداث يوم القيامة، وفى النهاية تكون هباءً منبثاً. وقد شبّهت فى الآيات المراد بحثها بالعهن المنفوش، وقد أخبرنا القادر المتعال عنها فى آيات عديدة؛ فتدكُّ الجبالُ كما تُدكُّ الأرض، فتقلَع وتسيَّر من مكانها، وتنسف بإذن الله وتكون متفكّكة متطايرة فلايبقى منها إلاّ سراب وقاع صفصف.

المحاولة فى هذه المقالة هى دراسة الأحداث التى تطرأ على الجبال قبل يوم القيامة وقد ذكرت فى آيات عديدة حيث سنبيّنها بتسلسل مع ذكر اللّمسات البيانيّة والملامح النّحويّة الواردة فيها.

الكلمات الرئيسة: القرآن الكريم، الجبال، يوم القيامة، التعبير البلاغى، الأرض.

المقدمة

لقد تحدّث القرآن الكريم هذا الكتاب المعجز والخالد فى آيات عديدة عن الأحداث المستقبلية التى تحدث للكون بلغة التأكيد بمناسبات عدّة، أبرزها أحداث يوم القيامة وهى كثيرة. من تلك الأحداث ما يطرأ على الجبال ضمن النظام الكونىّ فى ذلك اليوم الرّهيب الذى يتبدّل ويتلاشى فيه كلُّ شىء. ومن المنظار القرآنى أنَّ للجبال نهاية كما كانت لها بداية، ولنهايتها مراحل قد ذكرت

* طالب مرحلة الدكتوراه فى قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة أصفهان Ali.Savari44@Yahoo.com

** أستاذ مساعد فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان Ibnorrasool@Yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٦/٤، تاريخ القبول: ١٣٩٠/٩/٢١

فی القرآن الكريم ضمن مشاهد القيامة كقوله تبارک وتعالی: «وَحُمِلَتِ الأرض وَالْجبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً» (الحاقة: ١٤)، وقوله تعالی: «وبُسَّتِ الْجبالُ بَسًّا» (الواقعة: ٥)، وقولـه: «وكَانَـتِ الْجبـالُ كَثيباً مَهيلاً» (المزمل: ١٤)، وقوله: «وَتَكُـونُ الْجِبـالُ كَـالْعِهْنِ الْمَنْفُـوشِ» (القارعـة: ٥)، وقولـه: «وسُيِّرَتِ الْجبالُ فَكانَتْ سَراباً» (النبأ: ٢٠).

من خلال هذه الآيات يرسم لنا البارئ عزّ وجلَّ المآل والمصير الذی قُدّر للجبال فی ضـمن المجموعة الكونيّة. النظرة الرّبانيّة للجبال نظرة كونيّة والوصف يشمل جميـع جوانبهـا الوجوديّـة، بدايةً ونهايةً. ولنهايتها مراحل قد ذكرت فی بعض كتب التفسير غير متسلسـلة بيّناهـا فـی هـذه المقالة وفقاً لما جاء فی القرآن الكريم. وفيما يختصُّ بالأحداث المستقبلية لترسيم نهايـة الجبـال سلسلنا البحث وفق الأحداث المرسومة فی القرآن وذكرنا مـن خـلال ذلـک، التـرادف اللغـوی واللمسات النحوية والبيانية قدر المستطاع.

١. رجف الجبال واهتزازها مع الأرض: قال عزَّ مِن قائل: «وْمَ تَرْجُفُ الأرضُ وَالْجبالُ وكانَتِ الْجبالُ كَثيباً مَهيلاً» (المزمل: ١٤).

٢. دَكُّ الجبال: حيث يقول البارئ: «وحُمِلَتِ الأرض والْجبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً» (الحاقة: ١٤).

٣. نسف الجبال: وذلک فی قوله: «وإِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ» (المرسلات: ١٠).

٤. بسّ الجبال: فی قوله عزَّ وجلَّ: «وبُسَّتِ الْجبالُ بَسًّا» (الواقعة: ٥).

٥. تطاير الجبال: حيث يقول: «وتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ» (المعارج: ٩). وقوله: «وتَكُونُ الْجبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» (القارعة: ٥).

٦. تسيير الجبال: وذلک فی قوله: «وتَسيرُ الْجِبالُ سَيْراً» (الطور: ١٠). وقولـه: «وَإِذَا الْجِبـالُ سُيِّرَتْ» (التكوير: ٣).

٧. صيرورة الجبال سراباً: حيث يقول: «وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً» (النبأ: ٢٠).

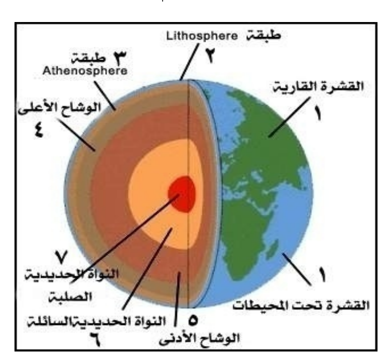
والواقع أنّ الإخبار عن أحداث المستقبل وترسيم نهاية الكون الواردة فی القرآن الكريم خيـر دليل على خلود إعجاز هذا الكتاب العظيم وصدق رسالة نبيّنا محمد(ص).

١. رجف الجبال واهتزازها

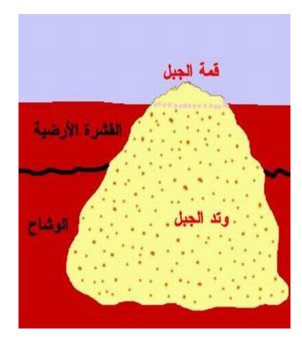
أجمعت جميع المصادر اللّغوية عن طريق الإيجاز على أنَّ الجَبَل «جَبَل» علـى وزن «عَسَـلْ» هو اسمٌ لكلِّ وتدٍ من أوتاد الأرض إذا عظُمَ وطالَ، من الأعلامِ والأطوارِ والشَّناخيب والأنضادِ، فإذا صَغُرَ فهو من الآكام والقِيرانِ، والجمع أَجْبُل وأَجْبال وجبال (الفراهيـدی، ١٤٠٥: ٦/ ١٣٦).

ووافقه فى ذلک صاحبُ لسان العرب والجوهرى (ابــن منظــور، ١٩٨٨: ١٢/ ١٦٩؛ الجــوهرى، ١٩٨٧: ٤/ ١٦٥٠).

وفيما يختص بمهمّة الجبال فقد كشف العلم الحديــث أنّ الكرة الأرضيّة متكوّنة من طبقــات؛ لها سيــلان وتحرّک وانزلاق أيضاً، ولولا الجبال لمــادت الأرض بأهلهــا، وانتفــى الانتفــاع بهــا، واختلت أمور حيــاة ساكنيــها، كما ذكر ذلک فى القرآن الكريــم: «وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَميدَ بِهِمْ وَجَعَلْنا فيها فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» (الأنبياء: ٣١). وقد كشفت البحوث العلميــة أنّ القشرةَ الأرضية الصّلبة التى نعيش عليها لا تمثّل إلاّ طبقة رقيقة جدّاً، قياساً بما تحتها من طبقات أخرى أعلى كثافة منها وهى «الوشاح». ثمّ عرّف الدّارسون لعلم الأرض والجبال حقيقــة اتّــزان القشرة الأرضيّة رغم ما تحمله من جبال وتلال ووديان، وأنّ هذا الاتزان لا يــتمّ إلاّ مــن خــلال امتدادات من مادّة القشرة داخل نطاق الوشاح؛ والتى لايمكن أن تمثّل عمليّاً إلاّ دور الأوتاد فــى تثبيت الخيمة على سطح الأرض لضمان ثباتها وعدم اضطرابها (نقلاً عن باحفظ الله، ٢٠١٢: ٣).



لقد وصفت الجبال فى آيات عديدة. منها ما يختصّ بنصب الجبال كالرّواسى والأوتاد والشّــامخات والأعلام، ومنها ما حول صفاتها، كالألوان والتسبيح والحركة، ومنها ما يختصَّ بأهميّة الجبال وفوائــدها الماديّة والمعنويّة فى الحياة، وكذلک نهاية الجبال المرسومة والمحتومة مع تخريب الكون.



جاء وصف الجبال في القرآن الكريـم مرّة واحدة بلفظ «الأوتاد» في سورة نبأ حيـث يـقول: «ألم نجعل الأرض مِهاداً والجبال أوتاداً» (النبأ: ٦-٧). أي أنَّ الجبال تشبه الأوتاد شـكلاً؛ إذ إن قسماً من مادة الجبال يغرق في طبقة القشرة الأرضية. والثاني: أن الجبال تشبه الأوتـاد دوراً؛ أي أنها تعمل على تثبيت القشرة الأرضية وتمنعها من أن تميد وتضطرب. جـاء فـي لسـان العـرب: «وتد: الوتِد، بالكسر، والوَتدُ والوتِدّ: ما رُزَّ في الحائط أو الأرض مـن الخشـب والجمـع أوتـادٌ» (ابن منظور، ١٩٨٨: ١٥/ ٢٠٤).

وقد أثبت العلم الحديث أن الجبال التي في أسفل الأرض يكون حجمها أكبر مـن التـي فـي الأعلى أي مثل الوتد. والجبل يشبه الوتد شكلاً إذ إن قسماً منه يغرق في طبقة القشرةالأرضـية. وهذه الجبال المثبتة لطبقات الأرض والثابتة والمتراصة تهتزّ وتتلاشى وتكون كثيبـا هـائلاً بـإذن الله، وذلك في أحداث يوم القيامة، يقول الباريء عزَّ وجلَّ: **«يَوْمَ تَرْجُفُ الأرض وَالْجبالُ وكانَـتِ الْجبالُ كَثيباً مَهيلاً»** (المزمل: ١٤). الكثيب هو الرّمل المجتمع كأنّه فعيل بمعنى مفعول مـن كثبـت الشيء إذا جمعته. و«مهيلاً» منثوراً من هيل هيلاً رخواً ينهـال كلمـا أخـذت منـه (ابـنمنظـور، ١٩٨٨م: «هيل»). جاء في تفسير مجمع البيان حول تفسير هذه الآية: «يوم ترجف الأرض أي: تتحرّک باضطراب شديد وترجف الجبال معها أيضاً وتضطرب بمن عليها، **وكانت الجبـال كثيبـاً مهيلاً** أي رملاً سائلاً متناثراً» (الطبرسي، ١٣٧٢: ١٠/ ٥٧٣).



فالجبال من المنظر القرآني تصير في نهاية الأمر رملاً مجتمعاً، بعد أن كانت قبل ذلک الوقـت أحجاراً صلبة كبيرة متراصّة. ويحدث هذا يَوْمَ تَرْجُفُ الأرض ويتبعها تضطرب الجبال وتتزلـزل. ويعتبر صاحب أنوار التنزيل اليوم هنا ظرفاً لما في «إنَّ لَدَيْنَا أنكَالاً» من معنى الفعل فهو منصوب بالاستقرار العامل في «لدينا» الذي هو الخبر في الحقيقة (البيضاوي، ١٤١٨: ٥/ ٢٥٧). أي اليـوم الذي تكون فيه الجبال الصّلبة المُتراصّة لينة رخوة.

ويحدث الارتجاف عندما ترجف الأرض، ومن خلال ذلک ترجف الجبال بتبعها وتهتزّ اهتزازاً عنيفاً. ومن الملفت للنظر أن ما يقع على الكلّ، فهو واقع لا محالة على بعضه. والأرض كلّ والجبال بعضٌ من هذا الكلّ. فما يجرى على الأرض فى ذلک اليوم فهو جار على الجبال دون شک.

والسؤال هنا هو إذا كان الأمر كذلک فلماذا عطفت الجبال على الأرض، وقال تعالى ترجف الأرض والجبال، ولو قال تعالى ترجف الأرض لما شک أحد أنَّ الجبال لا ترجف، فلماذا ذكر الجبال وهى أوتاد الأرض؟ والجواب والله أعلم، هو أنَّ الحق سبحانه ذكر الجبال فى هذا المشهد وكذلک فى مشاهد أخرى كى يشعر بهول ذلک اليوم وشدّته وقوة ارتجاج الأرض حتّى ارتجّت أوتادها (الشحود، ۲۰۱۰: ۵/ ۳)، وعندئذ يتلاشى كلُّ شىء. ولعلَّ نصب اليوم بنزع الخافض أى: تقع هذه العقوبة فى يوم ترجف الأرض والجبال. أو متعلّق بالفعل المقدّر لتبعثنّ (الصافى، ۱٤۱۸: ۳۰/ ۲۲۷). ومن وراء الوعد بالتنكيل يظهر لنا الإعجاز التأثيرى فى نفوس السامعين والسادرين فى ملاهى الحياة الدنيا علّهم يفيئوا إلى الصّواب. وهو إعجاز طالما يؤثر على النفوس المؤمنة فى تزويد إيمانها، وعلى النفوس الجاحدة فى الردع عن غيها.

۲. دکّ الجبال

تُدکُّ الجبال بإذن الله وهذا الدّک سيكون من أحداث يوم القيامة كما أخبرنا عنها البارئ عزَّ وجلَّ فى سورة الحاقة وقد عبّر عنها بصيغة الماضى لتحقق وقوع هذا الأمر العظيم بقوله: «فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحُمِلَتِ الأرض وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» (الحاقة: ۱۳–۱۵).

والدّکُّ هو الهدم والكسر، كما جاء فى لسان العرب: «الدکُّ: هدم الجبل والحائط ونحوهما، دکَّه يَدُکُّه دکّاً. و الدکّ كسر الحائط والجبل. وجبل دُکٌّ: ذليل، وجمعه دکَکةٌ مثل جُحر وجحَرة. وقد تَدکدکَت الجبالُ أى صارت دکَّاوَات، وهى رواب من طين، واحدتها دکَّاء» (ابن منظور، ۱۹۸۸: «دکک»). ومن ذلک قول **السموءل** مشيراً إلى دکّ الجبل وهو الطور الذى تلاشى أمام العزيز المتعال:

أَلَسنا بَنى الطورِ المُقَدَّسِ وَالذى تَدَخدَخَ لِلجَبّارِ يَومَ الزَّلازِلِ
وَمِن هَيبَةِ الرَحمانِ دُکَّ تَذَلُّلاً فَشَرَّفَهُ البارى عَلى كُلِّ طائِلِ

(عروة بن الورد والسموءل، ۱۹٦٤: ۱۰۲)

وقول عنترة بن شداد في تهديده لمن تعرّض لعبلة يذكر دكّ الجبل بسيفه مجازاً على سبيل التخييل الحسن:

أتذكُرُ عَبلَةً وَتَبيتُ حَيّاً وَدونَ خِبائِها أسَدٌ مَهولُ
وَتَطلُبُ أن تُلاقيني وَسَيفي يُدَكُّ لِوَقعِهِ الجَبَلُ الثَقيلُ

(عنترة بن شداد، ١٩٨٠: ١١٦)

والأرض بأمر من الله تزلزل وتدكُّ دكّة واحدة، وتمدُّ مدّ الأديم، وتبقى صعيداً واحداً لا اعوجاج فيه. وممّا لا شک فيه أن الجبال جزءٌ من الأرض وعندما يحدث اهتزاز للأرض تهتزّ الجبال كذلک تبعاً لها، فتدکّ الجبال كما تُدکُّ الأرض، فتحمل الجبال وتُدک مع الأرض كما وصفت في القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى: «وحُمِلَتِ الأرض والجبالُ فدكَّتا دَكَّةً واحدة» (الحاقة: ١٤). وهذا إخبار واقعي عمّا يحدث للكون؛ يعبّر عنه القرآن بالصّورة المحسّة المتخيّلة مع تلوين المشهد. وللفراء في ذلک نظر حيث قال: «دكُّها زلزلتها، ولم يقل فدكِكنَ لأنه جعل الجبال كالواحدة، ولو قال فدُكَّت دَكَّةٌ لكان صواباً لأنَّ الجبال والأرض كالشيء الواحد» (الفراء، د. ت: ٣/ ٦٨٦). ووافقه الطوسي بقوله: المعنى حملت الأرض و الجبال فصک بعضها على بعض حتى تندک، و إنما قيل: فدكتا لأنه جعل الجبال جملة و الأرض جملة (الطوسي، بلاتا: ١٠/ ٩٩).

وقد ذكر حمل الجبال بصيغة المجهول بما فيها من قدرة البارئ والملائكة والرياح وهذه هي من أمارات السّاعة ومن أحداث يوم القيامة.

فهذا الانقلاب المدمّر الذي يصوّره هذا المشهد يقع في جوّ من الشّعور بالشّدة والسّرعة والحسم، الذي لا مجال فيه لتكرار الحدث الواحد، وهذا ما يوضّحه بقوله تعالى: دَكَّةً واحدة.

إذن فمن أمارات السّاعة حمل الأرض والجبال من أماكنها وقلعها ثم الدّک، لكي تتحطم وتتكسَّر. فعند النفخة الأولى في الصّور والذي يُعلن من خلاله نهاية الحياة الدّنيا تحمل الأرض وكذلک الجبال وتُدک دَكّةً واحدة،كما ذكرت في القرآن الكريم «كَلاَّ إذا دُكَّتِ الأرض دكًّا دكًّا» (الفجر: ٢١)، أي زُلزِلَتْ بما فيها من بناء وجبال وبحار وغيرها «دكًّا دكًّا» مرة بعد أخرى حتّى لا يبقى فيها ولا عليها شيء (ملاحويش، ١٣٨٢: ١/ ١٥٠). مشهد الانقلاب الهائل المدمّر الذي تتحوّل فيه الصورة بين لحظة وأخرى من النقيض إلى النقيض مع توالي الأحداث هو الدكّ بعد الدکّ.

والملفت للنظر هو أنَّ هذه السّورة قد صدّرت بذكر أحداث يوم القيامة من النفخ في الصّور

وحمل الأرض والجبال فكلّ شیء ذی صلابة فی ذلک الیوم یكون واهیاً، وأیُّ شیء أصلب من الجبال الرّواسی؟ جاء فی تفسیر مجمع البیان: «إذا دكّت الأرضُ دكّاً أی كُسر كـلّ شـیء علـی ظهرها من جبل أو بناء أو شجر حتّی زُلزلتْ فلم یبق علیها شیء یفعـل ذلـک مـرة بعـد مـرة» (الطبرسی، ۱۳۷۲: ۱۰/ ۷٤۰).

والظاهر أنَّ تكرار الدّک یفید التوكید فحسب، ولكنَّ الواقع غیر ذلک لأن فی تكراره تصـویراً حسیّا مجسّماً لدکِّ أجزاء الأرض جزءاً جزءاً، وتكرار ذلک مرّة بعد مرّة حتّی تفنی. ثمّ اختیـار الدّک دون غیره من الأفعال یشعر بأصواته الانفجاریة التی تنبجس فی صوت انفجاری.

۳. نسف الجبال

ذكر نسف الجبال بلغة التأكید جواباً لسؤال جاء فی قوله تعالی: «وَیَسْـأَلُونَکَ عَـنِ الْجِبَـالِ فَقُـلْ یَنْسِفُهَا رَبِّی نَسْفًا، فَیَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَی فِیهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» (طه: ۱۰۵-۱۰۷)، وفی قوله عزّ من قائل: «وَإِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ» (المرسلات: ۱۰). والنسف لغةً هو ذرّ الحبوب وغیرها لیتطایر عنها الغبار والزوائد. جاء فی لسان العرب: «نسف: نسفت الرّیح الشـیء تنسـفه نسـفاً وانتسـفته: سلبته، وأنسفت الرّیح إنسافاً وأسافت التّراب والحصی، والنسف: نقر الطائر بمنقاره، وقـد أنسـف الطائر الشیء عن وجه الأرض بمخلبه ونسفه» (ابـن منظـور، ۱۹۸۸: «ن س ف»). ومنـه قـول أبی‌النجم العجلی:

وانتسَـفَ الجالِـبَ مـن أنْدابـه إغباطُنـا المَـیْسَ علـی أصْـلابه

(العجلی، ۲۰۰۳: «وانتسف»)

والنسْف: انتسافُ الریح الشیءَ، وعندما تنسف الریح الشیء كأنها تَسْلُبه. وكذلک یـدل علـی العضِّ والتقطیع والتكدیم كما جاء فی قول زهیر بن أبی سلمی یصف آثار العضّ فی لیّـة حمـار الوحش من نسف الحمیر:

فـی القَفـرِ یَعطِفُهـا أَقَـبُّ تَـری نَسَـفاً بلیتَیـهِ مِـنَ الكَـدمِ

(زهیر بن أبی سلمی، ۱۹٦٤: ۲۷٤)

والقفر هو المكان الخالی من الأرض. وأقب: غیر ضامر الخاصرتین. نسف: آثار العضاض من الحمیر. ومن ذلک قول حمید بن ثور الهلالی حیث یصف أثر أقدام الولید فـی الثـری مسـتخدماً عبارة النسف بدل الدک:

وَسُــفعاً ثَــوين العــامَ والعــامَ قَبلَــهُ عَلــى مَوقِــدٍ مــا بَيــنَهُنَّ دَقيــقُ
وَمن نَسـفِ أقدامِ الوليدين فى الثـرى رُســـومٌ تَـــرى عليتهـــا فســـوق

(حميد بن ثور، ١٩٥١: ٣٤)

وكما هو معلوم أنَّ للجبال أهمية كبرى فى تثبيت الأرض، حيث وصفت بالأوتاد والرّواسـى الشامخات، ومن أجل ذلک شغلت بال الإنسان الجاهلى حيث أخذ يتساءل عن نــهايتها وهـل تكون ملجأ له ومأوى عند أحداث يوم القيامة؟

تدلّ هذه الآية على أنَّ هناک تساؤلاً من قبل الصّحابة حول الجبال. تقول الرّواية: قيل للنبى صلى الله عليه وآله وسلّم كيف تكون الجبال غداً؟ والسّائل هو رجل من ثقيف، فجاء الجواب من السّماء: «وَيَسْأَلُونَکَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» (طه: ١٠٥–١٠٧). يقتلعها سبحانه من أصولها ويصيّرها غباراً، ويدع أماكنها من الأرض ملساء لا عوج فيها ـ والمراد به هنا الانخفاض ـ ولا أمتا وهو الارتفاع اليسير (الطبرسى، ١٣٧٢: ١٠/ ٧٤٠). ويضيف صاحب تفسير تقريب القرآن حول كيفية الجبال فى ذلک اليوم بقوله: فَيَذَرُها أى يذر الجبال ويجعلها قاعاً أى أرضاً ملساء منكشفة صَفْصَفاً أى مستوية لا علوَّ فيها ولا نتوء، والصّفصف هو: المستوى من الأرض. لا تَرى فيها فى ذلک القاع المصفصف المكوّن من الجبـال حيث انتثرت على الأرض عِوَجاً اعوجاجا بـالعلوّ والانخفـاض، وَلا أَمْتـاً أى أكمـة (الحسـينى الشيرازى، ١٤٢٤: ٣/ ٥٠٧).

وفى رأى صاحب تفسير جوامع الجامع يرجع الضمير إلى الجبـال وإلـى الأرض: «يَنْسِـفُها رَبِّى» أى يجعلها بمنزلة الرّمل ثم يرسل عليهـا الرّيـاح فتـذرّيها وتفرّقهـا كمـا يـذرّى الطعـام. «فَيَذَرُها»: فيذر مقارّها ومراكزها، أو يكون الضمير للأرض وإن لـم يجـر لهـا ذكـر (الطبرسـى، ١٣٧٧: ٢/ ٤٣٧). وحول معنى العوج والأمت يقول: العوج: ما انخفض من الأرض، والأمت: مـا ارتفع من الرّوابى. وأضاف «اليوم» إلى وقت نسف الجبال فى قوله: «يَوْمَئِذٍ» أى يوم إذ نسـفت، ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من «يَوْمَ الْقِيامَة» (المصدر نفسه).

والملفت للنظر أنَّ جميع العبارات التى تدلُّ على التساؤل جاءت دون الفاء إلا فى هذه الأية، لأنَّ المعنى: إن سألوک عن الجبال فقل ...، فتضمّن الكـلام معنـى الشـرط. وقـد علـم الله أنهـم يسألونه عنها، فأجابهم قبل السؤال. وأما تلک الأسئلة التى تقدّمت فكانوا قد سـألوا عنهـا النبـى صلّى الله عليه وآله وسلم فجاء الجواب عقب السّؤال، فلذلک كان بغير فاء، وفى مـا نحـن فيـه سؤال لم يسألوه عنه بعد (القرطبى، ٢٠٠٠: ١١/ ٢٤٥). وحول معنى النّسف المـذكور فـى الآيـة يقول القرطبى: يَنْسِفُها: يطيرها.« نَسْفاً» أى: يقلعها قلعاً من أصولها ثمّ يصيرها رملاً يسيل سـيلاً،

فَيَذَرُها: أى يذر مواضعها قاعاً صَفْصَفاً (المصدر نفسه). والقاع المستوى من الأرض، ومن ذلك قول الأعشى:

وكم دون بيتك من صفصف   ودكداك رمل وأعقادها

(فرحات، ١٩٩٢: ٩٧)

وصف بُعد المسافة بينه وبين الممدوح الذى قصده ليستوجب بذلک جائزته. والدكداک: من الرّمل المستوى. والاعقاد جمع عقدة، وهو المنعقد من الرّمل المتراكب. وقد نوّه صاحب تفسير الكشاف حول معنى النسف وإرجاع الضمير هل هو للأرض أم للجبال، والفرق بين العِوج والعَوج بقوله:

العِوج بالكسر فى المعانى. والعَوج بالفتح فى الأعيان، والأرض عين، فكيف صحَّ فيها المكسور العين؟ قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع فى وصف الأرض بالاستواء والملاسة، ونفى الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون، فنفى اللّه جلَّ وعلا ذلک العوج الذى دقّ ولطف عن الإدراک؛ اللّهم إلا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة، وذلک الاعوجاج لما لم يدرک إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعانى، فقيل فيه: عوج بالكسر. الأمت: النتوّ اليسير، يقال: مدّ حبله حتّى ما فيه أمت (الزمخشرى، ١٤٠٧: ٣/ ٨٨).

وقوله تعالى: «وإِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ» (المرسلات: ١٠)، أى قلعت من مكانها كقوله سبحانه ينسفها ربى نسفاً. وقيل نسفت أذهبت بسرعة حتّى لا يبقى لها أثر فى الأرض (الطبرسى، ١٣٧٢: ١٠/ ٦٢٩). وحول إضافة الوقت لنسف الجبال فى الآية يقول صاحب الكشاف: «أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال فى قوله يَوْمَئِذٍ أى يوم إذ نسفت، ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل من يوم القيامة» (الزمخشرى، ١٤٠٧: ٣/ ٨٨). وقد أضيف الوقت قبل هذه الآية إلى طمس النجوم وفرج السّماء فى الآيتين السابقتين بـ «إذا» الشرطية الظرفية.

٤. بسّ الجبال

من أهم الأحداث الطارئة يوم القيامة هو البسّ والتفتُّت الذى يحصل للجبال المتراكمة والمتراصة. فتتطاير تلک الجبال وتكون هباءً منبثاً كما ذكرت فى قوله تبارک وتعالى: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ، إِذَا رُجَّتِ الأرض رَجًّا، وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا» (الواقعة: ١-٦). والبسُّ مأخوذ من بَسَّ السَّويقَ والدقيقَ وغيرهما يقال: يَبُسُّه بَسّاً: خلطه بسمن أو زيت، وهى البَسِيسَةُ. قال اللحيانى: هى التى تُلتُّ بسمن أو زيت ولا تُبَلُّ. والبَسُّ: اتخاذ

البَسيسَة، وهو أن يُلتَّ السَّويقُ أو الدّقيق أو الأقِطُ المطحون بالسّمن أو بالزّيت ثمّ يؤكل ولايطبخ. وقيل هو أشد من اللَّتِّ بللاً، قال الراجز:

لا تَخْبِـزَا خَبْـزاً وبَسَّـا بسّـا ولا تُطِـيلا بمُنَـاخٍ حَبْسَـا

(ابن منظور، ١٩٨٨: «ب س س»)

وقائل هذا البيت هو لصٌّ من غَطَفان أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن الخبـز فبـلَّ الـدقيق فأكله عجيناً، ولم يجعل البَسَّ من السَّوق اللَّين، والبَسِيسَةُ الشعير يخلط بالنوى للإبل. والبسيسـة: خبز يجفّف ويدق ويشرب كما يشرب السّويق. قال ابن دريد: وأحسـبه الـذى يسـمّى الفَتُـوتُ (السابق: «ب‌س‌س»).

جاء فى تفسير من وحى القرآن: «إذا رُجَّتِ الأرض رَجًّا فى ما يمثله الزلزال الذى تتحرك به الأرض، فتهتزّ بشدّة اهتزازاً لا يعرف مداه إلا اللّه وبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا أى بـدأت الجبال بالتفتت أو أخذت تتحرّك عندما تفقد موقع الصّلابة فى وجودها، وتتحوّل بتفتت صخورها وحجارتها إلى ما يشبه الغبار الذى تذروه الرّياح وتبثّه فى كلِّ مكان، فلا يثبـت فـى أىّ موقـع» (فضل‌الله، ١٤١٩: ٢١/ ٣٢٨). والبسبس يطلق على القفر والأراضى الخالية من الكلاء والأثر. من ذلك قول المرقش الأكبر:

أمِـنْ آلِ أسـماءَ الطُّلُـولُ الـدَّوارِسُ يُخَطِّـطُ فيهـا الطَّيْـرُ قَفْـرٌ بَسـابِسُ

(الضبى، ١٩٩٢: ٢٢٤)

وذكر صاحب إيجاز البيان عن معانى القرآن بقوله: بُسَّتِ: هدّت أو دقّت، والبسيسة: هـو بـل السّويق (النيشابورى، ١٤١٥: ٢/ ٧٩). وجاء فى تفسير نـور الثقلـين حـول الآيـة: «إذا رُجَّـتِ الأرض رَجًّا» قال: يدّق بعضها على بعض، وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا قال: قلعت الجبال قلعاً فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا و الهباء الذى يدخل فى الكوة من شعاع الشمس (العروسى الحويزى، ١٤١٥: ٥/ ٢٠٥).

وزاد صاحب تفسير الجديد فى تفسير القرآن المجيد بقوله حول الآية: إذا رُجَّتِ الأرض رَجًّا وبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا ... أى إذا حرّكت الأرض وهزّت هزة عنيفة وزلزلت زلزالاً شديداً فمات مـن على ظهرها من جميع ذوى الحياة. وقيل ترجّ بأن تخرج ما فى بطنهـا وبُسَّـتِ الْجِبـالُ بَسًّـا أى تفجّرت وتفتّتت واجتثّت من أصلها. وقيل بسطت فكانت كالرمل المنبسط وكتراب السّـهل لـيس فيها تلّة ولا كثيب. فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا أى غباراً موزّعاً (السبزوارى النجفى، ١٤٠٦: ٧/ ٨٤). ومنه وقول عبيد بن الأبرص وهو يقف على الأطلال متذكراً وباكياً على فراق الأحبّـة لـديارهم التـى خلت من الوحوش والغزلان:

دِيــارُهُمُ إذ هُــم جَميــعٌ فَأصــبَحَت بَسابِسَ إلاّ الوَحشَ فـى البَلَـدِ الخـالى
(عبيد بن الأبرص، ١٩٦٤: ١٠)

وتبسُّ الجبال الصّلبة ذات الصّخور المتراصة وتفقد تماسكها الداخلى وتساق بإذن الله وتتفرّق فى كلِّ اتجاه عند وقوع الواقعة. جاء فى زبدة التفاسير: «إذا بسّت، بدل مـن إذا وقعـت. وبُسَّـتِ الْجبالُ بَسًّا وفتّت حتّى صارت كالسّويق الملتوت. من بسّ السّويق إذا لتّه. أو سـيقت وسـيّرت. من: بسّ الغنم إذا ساقها، كقوله: وَسُيِّرَتِ الْجبالُ. فَكانَتْ هَباءً غبـارا مُنْبَثًّـا منتشـراً» (الكاشـانى، ١٤٢٣: ٦/ ٥٦٦). فعند تفتتها تتبدّل إلى ذرات صغيرة متناهية فى الصّغر ويحصـل هـذا عنـدما تتكسر الجبال وتتلاشى فى الفضاء. جاء فى سواطع الإلهام فى تفسـير القـرآن: وبُسَّـتِ صعصـع وكسر أو أمرّ الْجبالُ بَسًّا صعصاعا وكسراً أو إمرار كاملاً فَكانَتْ الأطواد هَباءً عصراً كالكحل مُنْبَثًّا (الفيضى الدكنى، ١٤١٧: ٥/ ٣٤٣). وبسّ الجبال إرساؤها وتسبيرها ـ «فَكانَتْ هَباءً»: ذرّات فـى الهواء وتفتيتها وبثّها فكانت مُنْبَثًّا كالعهن المنفوش، أ فهذه الجبال الرّاسية تتحـوّل هبـاء، بعـد مـا رست قواعدها فى الأرض، وعلت رؤوسها فـى الهـواء؟ أجـل ومـع الأرض والجبـال السّـماء (الصادقى، ١٣٦٥: ٢٨/ ٦٣).

ومنه قول حسان بن ثابت:

بالمُستَوى دونَ نَعفِ القُفِّ مِن قَطَـنٍ فَالـدافِعاتِ أُلاتِ الطَلـحِ وَالضـالِ
أمسَت بَسـابِسَ تَسـتَنُّ الرِّيـاحُ بِهـا قَـد أُشـعِلَت بِحَصـاها أيَّ إشـعالِ

النفنف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السّيل. القف: موضع. قطن: جبل بالعالية. الدافعات: مسايل الماء. الطلح والضال: ضربان من الشجر.والبسابس: القفار، الواحد بسبس. تستن: تعدو، تعصف. أشعلت: فرقت (حسان بن ثابت، ١٩٨٧: ١٨٩).

وذكر صاحب مجمع البيان فى تفسير القرآن: «وبُسَّتِ الْجبالُ بَسًّا» أى فتّت فتّاً معناه كُسرت كسراً، وقيل قلعت من أصلها، وقيل سُيّرت عن وجه الأرض تسييراً، وقيل بسطت بسطا كالرّمـل والتراب، وقيل جعلت كثيباً مهيلاً بعد أن كانت شامخة طويلة «فَكانَـتْ هَبـاءً مُنْبَثًّـا» أى غبـارا متفرّقا كالذى يرى فى شعاع الشمس إذ دخل من الكوة (الطبرسى، ١٣٧٢: ٩/ ٣٢٤). وجميع هذه الأقوال تليق بالمقام بما فى المفردة من إيحاءات دلالية. ومن ذلك قول العباس بن مرداس حيث يصف قطع المفاوز القفار الخالية من العشب:

سَـمَونا لَهُـم سَـبعاً وَعِشـرينَ لَيلَـةً نَجـوبُ مِـنَ الأعـراضِ قَفـراً بَسابِسـا
(العباس بن مرداس، ١٩٩١: ٩٢)

وكذلک قول النابغة الجعدی فی وصفه لقارات الشغور وهی جمع قار، وهو الجبل الصغير المنقطع عن الجبال حيث أصبحت بسابسَ تشبه الصحاری المقفرة تعوی فی أعلامها الثعالب:

فَأَصـبَحَ قـارَاتُ الثُغُـورِ بَسابِسـاً   تَجـاوَبُ فـی آرامِهـنَّ الثَعالِـبُ

(النابغة الجعدی، ١٩٩٨: ٢٠)

٥. تطاير الجبال

سبق أن ذكرنا أنّ القرآن الكريم يتحدّثُ فی مواضع متعددة عن الجبال عند قيام القيامة بأنها تتحرک أوّلاً، ثمّ تدکّ و تتلاشی وأخيراً تصبح بشكل غبار متطاير فی السّماء. وهذه الحالة الأخيرة تشبّهها الآية بالصّوف الملّون المحلوج. والصّوف المتطاير فی مهبّ الرّيح، لم يبق منه إلا ألوان. جاء ذلک فی قوله تبارک وتعالی: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» (المعارج: ٦-٩). ويطلق العهن علی الصّوف المصبوغ ألواناً (ابن منظور، ١٩٨٨: «ع ه ن») واستعمل لفظ العهن للصوف المصبوغ عند تساقطه فی ديار الراحلين جاء فی قول زهير بن أبی سُلمَی:

كـأَنَّ فُتـات العِهـن فـی كـل منـزلٍ   نَـزَلْنَ بـه حـبُّ الفَنَـا لـم يُحَطَّـمِ

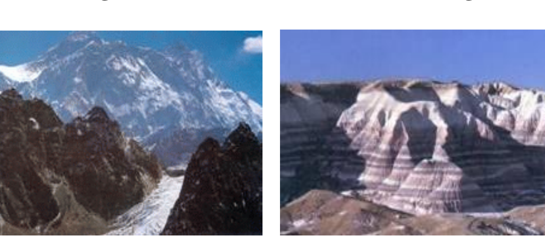
(زهير بن أبی سلمی، ١٩٦٤: ٣٩)

والفَنَا بالقصر: حَبٌّ فی البادية يقال له: عنب الثعلب، وله ألوان، بعضه أخضر، وبعضه أصفر، وبعضه أحمر. والعهنة: شجرة تنبت بالبادية، لها ورد أحمر.هذه آخر مراحل انهدام الجبال. و فی مكان آخر تأتی صفة المنفوش لهذا الصوف: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ». هذا التعبير «العهن المنفوش» قد يكون إشارة إلی الألوان المختلفة للجبال، فإنّ لها ألواناً شتّی. العهن الصّوف ذو الألوان، والمنفوش: الذی نفش ففرقت شعراته بعضها عن بعض حتی صار علی حال يطير مع أضعف ريح (المراغی، ٢٠٠٦: ٣٠/ ٢٢٦). أی إنَّ الجبال لتفتتها وتفرّق أجزائها لم يبق لها إلا صورة الصّوف المنفوش فلا تلبث أن تذهب وتتطاير، فكيف يكون الإنسان حين حدوثها وهو ذلک الجسم الضعيف السّريع الانحلال (المصدر نفسه). و المنفوش هو المنشور والمحلوج ويتمّ ذلک عادة بآلة الحلج الخاصّة.

وحسب ما وعد به القرآن الكريم بعد اهتزاز الأرض والزلزال العظيم والمدمّر تتطاير الجبال، وتكون كالصّوف المتطاير فی الهواء كما ذكر فی قوله تعالی: جاء فی تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: أی أذكر يوم تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ كدردیّ الزيت وكالفضة المذابة «وَتَكُونُ

الْجبالُ کَالْعِهْنِ أی الصوف المصبوغ ألوانا لقوله وَمِنَ الْجبالِ جُدَدٌ بِـیضٌ وَحُمْـرٌ مُخْتَلِـفٌ أَلْوانُهـا وَغَرابِیبُ سُودٌ» (فاطر: ٢٧). وجوّز بعضهم أن ینتصب یَوْمَ بـ «قَرِیباً» أو بإضمار یقع لدلالة واقع علیه، أو یراد به یوم تکون السّماء کالمهل کان کیت وکیت، أو هو بدل من یوم القیامة فیمن علّقه بـ واقع (النیشابوری، ١٤١٦: ٦/ ٣٥٨).

والناظر للجبال یُدرک هذه الحقیقة أنَّ الجبال ملوّنة، والواقع یشهد بذلک وقد أشار إلی ذلـک الباریٔ عزَّ وجلَّ بقوله: «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها ومِنَ الْجبالِ جُدَدٌ بیضٌ وحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِیبُ سُودٌ» (فاطر: ٢٧). ونحن نواجه هذه الحقیقة فی الطَبیعة وهی أنَّ الجبال ذات ألوان، کما نشاهدها فی الحیاة حولنا وتعبّر عنها الصّور التالیة:





قد عبّر القرآن الکریم عن لون الجبال بالألوان الأصلیّة کالجدد والبیض والحمر. والجُدد هـی جمع جُدَّة، ومعناها: الخطة السّوداء فی متن الحمار تخالف لونـه (ابـن منظـور، ١٩٨٨: «جدد»). وأمّا الجبال الصّم الصّلاب وهی أکبر رکائز الثقة والثبات فتتفرق وتکـون کـالْعِهْنِ الْمَنْفُـوش، أی: کالصّوف المنفوش، الذی بقی ضعیفاً جداً، تطیر به أدنی ریح. قال تعالی: «وَتَکُونُ الْجبالُ کَـالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» أی عند تطایرها تظهر للرائی أنّها ملوّنة.

جاء فی تفسیر فی ظلال القرآن: «ثم أجاب بسؤال التجهیل: (وَما أَدْراکَ مَا الْقارِعَةُ)؟ فهـی أکبر من أن یحیط بها الإدراک، وأن یلمّ بها التصور! ثم الإجابـة بمـا یکـون فیهـا، لا بماهیتهـا. فماهیتها فوق الإدراک والتصوّر «یَوْمَ یَکُونُ النَّاسُ کَالْفَراشِ الْمَبْثُـوثِ، وَتَکُـونُ الْجبـالُ کَـالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ». هذا هو المشهد الأول للقارعة. مشهد تطیر له القلوب شعاعا، وترجف منـه الأوصـال ارتجافا. ویحس السّامع کأن کلّ شیء یتشبث به فی الأرض قد طـار حولـه هبـاء! ثـم تجـیء الخاتمة للناس جمیعا» (سید قطب، ١٩٧١: ٦/ ٣٩٦١).

ونجد التشبیه المرسل المجمل فی قوله تعالی: «وَتَکُونُ الْجبالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ»، حیث شـبّه الجبال بالصّوف الملّون بالألوان المختلفة المندوف، فی تفرّق أجزائها وتطایرها فی الجوّ، حسـبما نطق به قوله تعالی: «وَتَرَی الْجبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ» (الصافی، ١٤١٨: ٣٠/ ٣٩٤). وقد صرّح القرآن الکریم حول ألوان الجبال بعد أحداث القارعة وتطایر النـاس کـالفراش

ومن ثمَّ نفش الجبال حيث يقول: «الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاکَ مَا الْقَارِعَةُ، يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» (القارعة: ١-٥). وهذا الآية تثبت لنا أنَّ الجبال ملوَّنة كما جاء في القرآن الكريم في مكان آخر «ومِن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانُها وغَرابيبُ سودٌ» (فاطر: ٢٧). فعندما تقلع الجبال من أماكنها وتتطاير يظهر لون الجبال وكأنّه الصوف المصبوغ. والْعِهْنُ: هو الصوف المصبوغ باللون الأحمر، وقيل: هو المصبوغ ألوانًا. وفي قراءة ابن مسعود: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْصُّوفِ الْمَنْفُوشِ».

و (الْمَنْفُوش) هو المفرَّق بعض أجزائه عن بعض؛ لِيُغزَل، أو تُحْشَى به الحشايا، فعندما يُضْرَب بالعصا، تتطاير أجزاؤه. ووافقه ابن عطية بقوله: والفنا: عنب الثعلب، وحبه قبل التحطم منه الأخضر والأحمر والأصفر، وكذلک الجبال جُدَد بيض وحُمر وسود وصفر، فجاء التشبيه ملائماً، وكون الْجبالُ كَالْعِهْنِ، إنما هو وقت التفتيت قبل النسف (ابن عطية، ١٤٢٢: ٥/ ٥١٧).

ووجه التشبيه بين الجبال، والعهن المنفوش: أنَّ من الجبال؛ كما قال الله تعالى: «جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» (فاطر: ٢٧). فهي مختلفة الألوان بحجارتها ونبتها، وكذلک الصوف مختلفة ألوانه. فهي تشبهه من هذا الوجه. ثم هي تشبهه من وجه آخر، وهو أنها إذا بُسَّت، طُيِّرت في الجوّ؛ كما يتطاير الصّوف المنفوش. يقول صاحب تفسير التنوير والتحوير: « إعادة لفظ الكون (وتَكُونُ ... وَتَكُونُ) مع حرف العطف، للإشارة إلى اختلاف الكونين؛ فإنّ أولهما كونُ إيجاد، والثاني كونُ اضمحلال، وكلاهما علامة على زوال عالم، وظهور عالم آخر. وقيل: كرَّر ذلک؛ لأن التكرير في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير وجملة: وَ تَكُونُ الْجبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوش معترضة بين جملة يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وجملة: «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ» (القارعة: ٦) إلخ. وهو إدماج لزيادة التهويل (ابن عاشور، محمد، ج٣٠/ ٤٥١).

وقال تعالى هنا: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» (القارعة: ٣). وقال في موضع آخر: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» (المعارج: ٩). فأتى بالعهن موصوفًا بالنفش في الآية الأولى، وأتى به غير موصوف به في الآية الثانية. فما سرّ البيان في ذلک؟ ويجاب عنه بأنَّ الغرض من هذا التشبيه في سورة القارعة هو غيره في سورة المعارج.

وبيان ذلک: أنَّ القارعة هي من القرع، القَرَعُ: قَرَعُ الرأس وهو أن يَصْلَعَ فلا يبقى على رأسه شعر (ابن منظور، ١٩٨٨: «قرع»). وهو ضرب جسم بآخر بشدة لها صوت، فناسب أن يذكر معها من أحوالها في ذلک اليوم المهول ما يوهِن قوى الإنسان إلى ضعف الفراش المبثوث، ويفكّک ترابط الجبال وتماسكها إلى هباء العهن المنفوش. فشبَّه تعالى أحوال الناس في ذلک اليوم في كثرتهم وحيرتهم واضطرابهم وانتشارهم في كلِّ جهة بالفراش المبثوث. ثم شبَّه الجبال

فى اختلاف ألوانها وتفكّک أجزائها وتطايرها هباءً فى الجو بالصّـوف المنفـوش ، فناسـب بـين المشبَّه، والمشبَّه بهِ من جهة، ثم ناسب بين التشبيه فـى الصّـورة الثانيـة، والتشـبيه فـى الصّـورة الأولى، فقال سبحانه : «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَـالُ كَـالْعِهْنِ الْمَنْفُـوشِ» (القارعة: ٤ – ٥).

ووجه التشبيه بين الجبال والعهن من منظر آخر هو أنَّ الجبال فى ثقلهـا وتماسـک أجزائهـا واختلاف ألوانها، تصير فى ذلک اليوم واهية خفيفة مفكّكة الأجزاء تتلوَّن بألوان مختلفة؛ كـالعهن فى ضعفه وخفته وتفرّق أجزائه واختلاف ألوانه. وليس المراد هنا تطاير أجزائها فى الجو ـــ كمـا فى القارعة ـ ولهذا أطلق لفظ العهن هنا دون قيد، وقيد هناک بالوصف والتشبيه المرسل المجمـل فى قوله تعالى «وتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ». فهذا ليس مجرد تنويع فى التعبير بل الحقيقة أنَّ السّياق يختلف فى المرّتين. وليس طريقة تقريرية وإنما يرسم صورة فنية من خلال الواقع.

أما فى سورة المعارج فقد ذكر تعالى من أحوال ذلک اليوم الذى وصفه بقوله: «فِيْ يَوْمٍ كَـانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة» (المعارج: ٤). ما يحيل بناء السّماء ولونها ، إلى صورة المهـل المـذاب ولونه، ويحيل تماسک الجبال وثقلها وألوانها، إلى وهن العهن الخفيف وألوانه. فشبَّه السّـماء فـى ذلک اليوم بالمهل، وشبَّه الجبال بالعهن، فناسب بين المشبَّه والمشبَّه به من جهة، ثم ناسـب بـين التشبيه فى الصّورة الثانية، والتشبيه فى الصّورة الأولى، وذلک فى قوله تعالى: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» (المعارج: ٨ – ٩). واعلم أن اللّه تعالى أخبر أن الجبـال مختلفـة الألوان على ما قال: «ومِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابيبُ سُودٌ» (فـاطر: ٢٧). ثم إنّه سبحانه يفرّق أجزاءها ويزيل التأليف والتركيب عنها فيصير ذلک مشابها للصـوف الملّـون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشاً، وهاهنا مسائل ثلاثة:

ـ **المسألة الأولى**: إنما ضمَّ بين حال الناس و بين حال الجبال، كأنَّه تعالى نبّه على أنَّ تـأثير تلک القرعة فى الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها! فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربّه، هذا ويحتمل أن يكون المراد أنَّ جبال النـار تصير كالعهن المنفوش لشدة حمرتها.

ـ **المسألـة الثانيـة**: قد وصف اللّه تعالى تغيّر الأحوال على الجبال من وجوه أولهـا: أن تصـير قطعاً، كما قال: «وحُمِلَتِ الأرض وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً» (الحاقـة: ١٤). وثانيهـا: أن تصـير كثيباً مهيلاً، كما قال: «ويَوْمَ تَرْجُفُ الأَرض وَالْجِبالُ وكانَتِ الْجِبالُ كَثيباً مَهيلاً» (المزمل: ١٤)، ثم تصير كالعهن المنفوش، وهو الصّوف المتخلخل المتطاير الملوّن فى الجوِّ. فى الأخير تصير سراباً، كما قال: «وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً» (النبأ: ٢٠).

ـ **المسألة الثالثة**: لم يقل: يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، والجبال كالعهن المنفوش بل قال: «وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» لأنّ التكرير في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير (الرازي، ١٤٢٠: ٣/ ٢٦٧). وقوله تعالى «وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» أي كالصوف الملوّن المندوف لتفرق أجزائها وخفة سيرها (شبر، ١٤١٢: ٦/ ٤٤٤). وقوله سبحانه بيان لحالة أخرى من الأحوال التي يكون عليها هذا الكون يوم القيامة.

يقول صاحب التفسير الوسيط: «والمتأمّل في هذه الآيات الكريمة، يراها قد اشتملت على أقوى الأساليب وأبلغها، في التحذير من أهوال يوم القيامة، وفي الحضّ على الاستعداد له بالإيمان والعمل الصالح؛ لأنها قد ابتدأت بلفظ القارعة المؤذن بأمر عظيم، ثم ثنّت بالاستفهام المستعمل في التهويل، ثم أعادت اللفظ بذاته بدون إضمار له زيادة في تعظيم أمره، ثم جعلت الخطاب لكلّ من يصلح له، ثم شبّهت الناس فيه تشبيها تقشعرّ منه الجلود، ثم وصفت الجبال ــ وهي المعروفة بصلابتها ورسوخها ــ بأنها ستكون في هذا اليوم كالصّوف المتناثر الممزق» (الجوهري الطنطاوي، ١٩٩١: ١٥/ ٤٩٠). وهذا من دأب التعبير القرآني حيث يؤلّف بين الغرض الدّيني والغرض الفنيّ.

٦. تسيير الجبال

سبق أن الجبال ثوابت الأرض وهي بمثابة الأوتاد لها، وهذه الجبال الثقال والرواسي الصلبة في نهاية الأمر تسيّر من مكانها وتصير سراباً، وذلك في قوله: «وَسُيِّرَتِ الجبال فَكَانَتْ سَرَاباً» (النبأ: ٢٠)، أي تُنسف الجبال فتجتثّ من أصولها، فتصير هباءً منبثاً، لعين الناظر فتصير بعد تسييرها مثل سراب فترى بعد تفتتها وارتفاعها في الهواء كأنها جبال وليست بجبال بل غبار غليظ متراكم يرى من بعيد كأنه جبل ومن جهة المدلول البلاغي قد استخدم النصّ القرآني الفعل الماضي للأحداث المستقبلية بدل المضارع وهذا يدلُّ على تحقّق الحدث يقيناً. وهذه الجبال العظام والصّلبة تسيّر بإذن الله من مكانها، وهذه من أحداث يوم القيامة، حيث يقول تبارك وتعالى: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ» وقوله: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا، وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» (الطور: ٩-١٠). وقوله: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» (التكوير: ٣).

لما ذكر تعالى ما يؤول إليه حال الدنيا من النفاد، أعقب ذلک بأوائل أحوال يوم القيامة، فقال: عزّ وجلّ: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأرض بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّکَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» (الكهف: ٤٨-٤٩). ممّا لا نشکّ فيه أنَّ نظام هذا العالم الدنيوي ينفک ويتلاشى بإذن الله، ويؤتى بالعالم الأخروي كما تشير إليه الآيتان الكريمتان من سورة الكهف، ومناسبتهما لما قبلهما أنه تعالى لما

ذكر فى الآيات التى سبقتهما ما يؤول إليه أمر الدنيا من النفاد والهلاک، أعقب سبحانه ذلک بذكر بعض مشاهد يوم القيامة، فذكر من هذه المشاهد: تسيير الجبال فى ذلک اليوم المهول. وبروز الأرض. وحشر الناس للحساب جميعًا بعد خروجهم أحياء من قبورهم الطينية؛ كما خرجوا منها أول مرة. وينتقل سبحانه من هذا الحشر الجامع للخلائق إلى الحديث عن عرضهم على الرّب جلّ وعلا. ومن ثَمَّ يتوجَّه سبحانه بالخطاب إلى المكذبين بالبعث والمنكرين له خاصَّة له بقوله سبحانه: «لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» (الكهف: ٤٩). وفى ضمنه تقريعهم وتوبيخهم.وقوله تعالى بعد تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال يظهر الذى هو افجع منها وهو علم النفس بما كسبت وذلک فى قوله تبارک وتعالى: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» (التكوير: ١–٣).

وقد كثر فى القرآن ذكر حال الجبال يوم القيامة فقال: «وتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب» (النمل: ٨٨)، وقال: «وكَانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا» (المزمل: ١٤)، وقوله تبارک وتعالى: «وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً » (النبأ: ٢٠)؛ كل ذلک ليبيّن أن هذه الأجسام العظيمة التى من طبعها الاستقرار والثبات تؤثر فيها هذه القارعة، فما بالک أيها المخلوق الضعيف الذى لا قوة له؟ وفى هذا تحذير للإنسان وتخويف له كما لا يخفى وبعد أن ذكر أوصاف هذا اليوم بما يكون من أحوال بعض الخلائق، أعقب ذلک بذكر الجزاء على الأعمال (آل سعدى، ١٤٠٨: ٣٠/ ٢٢٧).

٧. صيرورتها سراباً

الجبال الصّلبة والمتكونة من الصّخور والمعادن والنابتة فى أعماق الأرض تتلاشى فى نهاية المطاف بإذن الله وتسيّر وتكون فى نهاية الأمر كالسّراب كأن لم تكن شيئاً وذلک فى قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» (النبأ: ١٨– ٢٠).

نلمس التشبيه البليغ فى قوله تعالى: «وسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً» حيث شبّه الجبال بالسّراب، وحذف الأداة ووجه الشبه، والجامع أن كلاً من الجبال والسّراب يرى على شكل شيء وليس هو بذلک الشيء (مغنية، ١٤٢٤: ١/ ٣٨٦). فالكلام على التشبيه البليغ والجامع أنَّ كلاً من الجبال والسّراب يتراءى للناظر وليس هو بشيء والسّراب هو الذى يظنّ من يراه من بعيد أنه ماء، وهو فى الحقيقة هباء، وهذا من قبيل قوله تعالى: «كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ» (النور: ٣٩). انظر كيف يحوّل التعبير القرآنى المعنى

المراد إلى صورة محسّة ماثلة أمام عينيک وقوله فيما سيقع فى المستقبل للسماء والجبال حيث تمور السّماء وتسيّر الجبال: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» (الطور: ٩-٨). والأرض تزلزل وتدکّ دکّة واحدة، وتمدّ مدّ الأديم، وتبقى صعيداً واحداً لا اعوجاج فيها، ويقبضها الله ويمسكها بأصبع، والجبال تسير، وتنشقّ وتتحول إلى كثيب مهيل وعهن منفوش، وتُزال الجبالُ من مواضعها وتُسوَّى الأرض لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، قال البارئ عزَّوجلَّ فى شأن هذا اليوم: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأرض بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» (الكهف: ٤٧-٤٨). أى اذكر يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ فى الجوّ كالسحابِ ـ وهو عند قيام القيامة ـ وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً لا يسترها شىء، جبل و لا غيره وَ حَشَرْنا وجمعنا الناس للحساب فَلَمْ نُغادِرْ ولم نترک مِنْهُمْ أَحَداً (الحسينى الشيرازى، ١٤٢٤: ١/ ٣١١). يجد القارئ الريشة المعجزة فى رسم المشاهد الكونيّة فى تصوير هائل مخيف من الجبال والأرض والتصوير من المحشر وكيفية عرض الناس.

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ يشير سبحانه بهذا إلى أهوال يوم القيامة، وأنه يقتلع الجبال من أماكنها، ويُسيّرها فى الجوّ كالسَّحاب وَتَرَى الأرض بارِزَةً باديةً ظاهرة لا حجر ولا شجر ولا بناء وخباء يحجب الأبصار (مغنية، ١٤٢٤: ١/ ٣٨٦). وبعد تسيير الجبال تبرز الأرض إما مما عليها أو من باطنها (شبر، ١٤١٢: ١/ ٢٩٤). لأنَّ الأرض تلقى ما فيها وتتخلّى.

وهكذا يتّضح من خلال الشواهد والأمثلة التى أتينا بها، قوة التّصوير القرآنىّ حول الجبال وهى صورة التوحيد ومدى تأثيرها فى النفس الإنسانية فى إيصال المعانى التى يهدف إليها الإعجاز التأثيرى فى جانب الإعجاز العلمى ما لا قِبل لبشر بالإتيان بمثله. لأن البيان البشرى مهما بلغ من درجة البلاغة فهو سطوح مستوية، وبيان القرآن قمم متدرّجة فـ «تَبارَكَ الَّذى نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمينَ نَذيراً» (الفرقان: ١).

وفى الختام نحبُّ أن ننوّه إلى أننا لم نذكر آراء جميع المفسرين احترازاً عن التطويل وكان هذا تفادياً للإضافات غير المجدية والله المستعان.

النتيجة

جاءت نتائج البحث بجوانب عديدة لتبيين نهاية الجبال من منظار القرآن مع وحدة موضوعيّة شاملة تلمُّ بأطرافها؛ تتمحور حول الجوانب الموضوعيّة والجوانب الفنيّة، آخذة بعين الاعتبار الدّلالات اللغويّة واللّمسات البيانيّة والملامح النّحويّة. وأهمّ النتائج التى وصلنا إليها من خلال البحث هى:

١. للجبال نهاية محتومة ومختومة كما لها بداية قد رسمها القرآن لنا في بعض آياته من النّصب إلى النّسف بما في ذلك من تنويع المشهد وتلوينه.

٢. قد ذكر القرآن نهاية الجبال بصيغة الماضي في كثير من المواضع، وهذا يدلّ على حتمية وقوع هذا الأمر الرهيب.

٣. من المفسرين من يعتقد أنَّ حركة الجبال تشير إلى الحوادث التي تقع بين يدي القيامة، لأننا نعرف أنَّه في نهاية هذه الدنيا تقع زلازل وانفجارات هائلة، وتتلاشى الجبال وتنفصل بعضها عن بعض، وقد أشير إلى هذه الحقيقة في السّور الأخيرة من القرآن كراراً. ووقوع الآية في سياق آيات القيامة دليل وشاهد على هذا التفسير.

٤. هناك علاقة قائمة بين الألفاظ المستخدمة لأحوال الجبال وما تنتجه من طاقة دلالية كالدّكّ والنّسف والبسّ والبثّ.

٥. لنهاية الجبال مراحل عديدة بداية من الرّجف مع الأرض حتّى النّسف والتطاير ثم تكون كالسراب كأنْ لم تكن شيئاً.

٦. الجبال ملوّنة وألوانها تدلُّ على الموادّ المعدنيّة فيها ويظهر ذلك أكثر وضوحاً عندما تكون كالعهن المنفوش.

٧. الجبال تتحرّك كما وصفها القرآن، ولها عدّة حركات، ولكنّها تتراءى للرائي ثابتة جامدة وهي تمرُّ مرَّ السّحاب.

٨. تخريب الجبال ودكّها وقلعها يدلّ على تخريب الكرة الأرضية، لأنَّ الجبال تعتبر ثوابت لها كما وصفت بالأوتاد والرواسي.

٩. للإعجاز التأثيري إلى جانب الإعجاز اللغوي والبياني في ذكر أحداث يوم القيامة، الدور الأكبر لما جاء به القرآن الكريم في تعديل سلوكيات الانسان مؤلّفاً بين الغرض الدّيني والغرض الفنيّ.

المصادر

القرآن الكريم.

آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٤٠٨ هـ). *تيسير القرآن الكريم*، بيروت: مكتبة النهضة العربية.

ابن عاشور، محمد بن طاهر (د.ت). *التحرير و التنوير*، د.م، د.ن.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (١٤٢٢ هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمّد بن مكرّم (۱۹۸۸ م). *لسان العرب*، بيروت: دار إحياء التراث العربى.

الأعشى، ميمون بن قيس (۱۹۹۲ م). *ديوان ميمون بن قيس*، شرح يوسف شكرى فرحات، بيروت: دار الجيل.

الآلوسى، شهابالدّين السّيد محمود (۱۹۸۰ م). *تفسيـر روح المعانى فى تفسيـر القرآن العظيم والسّبع المثانى*، ط ٤، بيـروت: دار إحيـاء التراث العربى.

باحفظ الله، حسن (۲۰۱۲ م). «والجبال أوتادا»، *مجلة الإعجاز العلمى الصادرة عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة* (۱)، على موقع:

www.alkotla.info/vb/showthread.php?18716- مجلة – الإعجاز

البيضاوى، عبدالله بن عمر (۱٤۱۸ هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، بيروت: دار إحياء التراث العربى.

الجوهرى، اسماعيل بن حماد (۱۹۸۷ م). *تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق أحمد عبد الغفـور عطـار، بيـروت: دار العلم للملايين.

الجوهرى الطنطاوى، سيدمحمد (۱۹۹۱ م). *الجواهر فى تفسير القرآن الكـريم* (*تفسـير الجـوهرى*)، ط ٤، بيـروت: دار إحياء التراث العربى.

حسان بن ثابت الأنصارى (۱۹۸۷ م). *ديوان حسان بن ثابت*، بيروت: دار بيروت.

الحسينى الشيرازى، سيدمحمد (۱٤۲٤ هـ). *تقريب القرآن إلى الأذهان*، بيروت: دار العلوم.

حميد بن ثور (۱۹۵۱ م). *ديوان حميد بن ثور*، صنعه عبد العزيز الميمنى، القاهرة: الدار القومية.

الرازى، فخرالدين محمد بن عمر (۱٤۲۰ هـ). *مفاتيح الغيب*، بيروت: دار إحياء التراث العربى.

زهير بن أبى سلمى (۱۹٦٤ م). *ديوان زهير بن أبى سلمى*، بيروت: دار صادر.

الزمخشرى، محمود بن عمر (۱٤۰۷ هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، بيروت: دار الكتاب العربى.

السبزوارى النجفى، محمد بن حبيبالله (۱٤۰٦ هـ). *الجديد فى تفسير القرآن المجيد*، بيروت: دار التعارف.

سيد قطب، محمد بن إبراهيم الشاذلى (۱۹۷۱ م). *فى ظلال القرآن*، بيروت: دار الشروق.

شبر، سيد عبدالله (۱٤۰۷ هـ). *الجوهر الثمين فى تفسير الكتاب المبين*، قدم عليه سـيدمحمد بحرالعلـوم، الكويـت: مكتبة الألفين.

الشحود، على بن نايف (۲۰۱۰ م). *الإعجاز اللغوى والبيانى فى القرآن الكريم*، المكتبة الشاملة، القرص الكمبيوترى، الإصدار ۳، رياض المملكة العربية السعودية: مجمع الأبحاث الإسلامية.

الصادقى، محمد (۱۳٦۵ هـ .ش). *الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن*، ط ۲، قم: فرهنگ اسلامى.

الصافى، محمود بن عبد الرحيم (۱٤۱۸ هـ). *الجدول فى إعراب القرآن*، ط ٤، دمشق ـ بيروت: دار الرشيد مؤسسة الإيمان.

الضبى، المفضل بن محمد (۱۹۹۲ م). *المفضليات*، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبـد السـلام محمـد هـارون، ط ٦، القاهرة: دار المعارف.

الطبرسى، الفضل بن حسن (۱۳۷۲ هـ .ش). *مجمع البيان*، قدم عليه محمد جواد بلاغى، تهران: ناصر خسرو.

الطبرسى، الفضل بن حسن (۱۳۷۷ هـ .ش). *جوامع الجامع*، تهران: دانشگاه تهران.

الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (۱۹۸۸ م). *جامع البيان عن تأويل آى القرآن*، بيروت: دار الفكر.

الطوسى، محمد بن حسن (د.ت). *التبيان فى تفسير القرآن*، تحقيق أحمد قصير العاملى، بيروت: دار احياء التراث العربى.

العباس بن مرداس (۱۹۹۱ م). *دیوان العباس بن مرداس*، تحقیق یحیی الجبوری، بیروت: مؤسسة الرسالة.
عبید بن الأبرص (۱۹٦٤ م). *دیوان عبید*، بیروت: دار صادر.
العجلی، أبو النجم (۲۰۰۳ م). *دیوان*، الموسوعة الشعریة، الإصدار ۳، القرص الکمبیوتری، أبوظبی، الإمارات العربیة المتحدة: المجمع الثقافی.
عروة بن الورد والسموأل (۱۹٦٤ م). *دیوانا عروة بن الورد والسموأل*، بیروت: دار صادر.
العروسی الحویزی، عبد علی جمعة (۱٤۱٥ هـ). *تفسیر نور الثقلین*، قم: إسماعلیان.
عنترة بن شداد (۱۹۸۰ م). *دیوان عنترة بن شداد*، تحقیق فوزی عطوی، بیروت: دار صعب.
الفراء، أبو زکریا یحیی بن زیاد (د. ت). *معانی القرآن*، تحقیق احمد یوسف نجاتی ومحمدعلی نجار وعبد الفتاح إسماعیل شلب، القاهرة: دار المصریه للتألیف والترجمة.
الفراهیدی، الخلیل بن أحمد (۱٤۰٥ هـ). *کتاب العین*، تحقیق مهدی المخزومی و إبراهیم السامرائی، قم: دار الهجرة.
فرحات، یوسف شکری (۱۹۹۲ م). شرح *دیوان الأعشی*، بیروت: دار الجیل.
فضل الله، السیدمحمدحسین (۱٤۱۹ هـ). *تفسیر من وحی القرآن*، بیروت: دار الملاک.
الفیضی الدکنی، أبوالفضل (۱٤۱۷ هـ). *سواطع الإلهام فی تفسیر القرآن*، تحقیق سیدمرتضی آیة‌الله‌زاده شیرازی، بیروت: دار المنار.
القرطبی، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاری (۲۰۰۰ م). *الجامع لأحکام القرآن*، بیروت: دار الکتب العلمیة.
الکاشانی، ملا فتح الله (۱٤۲۳ هـ). *زبدة التفاسیر*، قم: بنیاد معارف اسلامی.
المراغی، أحمد مصطفی (۲۰۰٦ م). *تفسیر المراغی*، بیروت: دار الفکر والنشر.
مغنیة، محمد جواد (۱٤۲٤ هـ). *تفسیر الکاشف*، تهران: دار الکتب الإسلامیة.
ملاحویش آل غازی، عبدالقادر (۱۳۸۲ هـ). *بیان المعانی*، دمشق: مطبعة الترقی.
النابغة الجعدی، قیس بن عبدالله (۱۹۹۸ م). *دیوان النابغة الجعدی*، تحقیق واضح الصمد، بیروت: دار صادر.
النیشابوری، محمود بن أبی الحسن (۱٤۱٥ هـ). *إیجاز البیان عن معانی القرآن*، تحقیق حنیف بن حسن القاسمی، بیروت: دار الغرب الإسلامی.
النیشابوری، نظام الدین حسن بن محمد (۱٤۱٦ هـ). *تفسیر غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تحقیق شیخ زکریا عمیرات، بیروت: دار الکتب العلمیة.